

السيرة الذاتية لطفه حسين : الأيام

الدكتور / محمد طارق
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة لконаؤ، لконаؤ

المدخل:

بدأت كتابة السيرة الذاتية التي تعد فرعاً من فروع التاريخ بإصدار الفيلسوف الفرنسي "جان جوك روسو" كتابه "الاعترافات" في عام ١٧٠٠ من الميلاد، وتبعه العديد من الكتاب والمفكرين في أوروبا حتى انتقلت إلى اللغة العربية على يد أحمد فارس الشدياق ولكنه قد أصدر كتابه في العاصمة الفرنسية باريس في عام ١٨٥٥م، وأصدر عبد الرحمن شكري في عام ١٩١٦ من الميلاد، في مدينة الإسكندرية سيرةً ذاتيةً سماها بـ "الاعترافات": ومع ذلك يعد الدكتور طه حسين رائد كتابة السيرة الذاتية بإصدار كتابه "الأيام" في ثلاثة أجزاء، الذي يعد الأشهر في الأدب العربي المعاصر، ويعتمد في المقام الأول على قيمتها الفنية كما يعتبر من أهم كتب السيرة الذاتية التي ظهرت في القرن العشرين. وهو في أسلوب قصصي فني ويستكمل شروط الكتابة في اللون الأدبي الفني، هذا ومع ذلك أثارت بعض أفكاره التي ظهرت في مؤلفاته ولاسيما "في الشعر الجاهلي" عن الدين والمعتقدات الإسلامية ضجة كبرى في العالم الإسلامي والأدب العربي، ولا تزال أفكاره ومواقفه تثير الجدل حتى الآن، ثم أصدر العديد من الأدباء والمفكرين

سِيرَهم الذاتية كما قام المؤرخ الأديب أحمد أمين بإصدار سيرته الذاتية باسم "حياتي" والشاعر الناقد الصحفي الكاتب المصري إبراهيم عبد القادر المازني بإصدار سيرته الذاتية "قصة حياة" والأديب النافذ عباس محمود العقاد بإصدار سيرته الذاتية باسم "أنا".

هذا ويحسن بنا أن نقدم بالإيجاز حياة الدكتور طه حسين وآثاره الأخرى قبل تقديم بعض جوانب لسيرته الذاتية "الأيام".

نبذة من حياته:

ولد طه حسين بن علي بن سلامة في تاريخ الخامس عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٨٩ من الميلاد في قرية "الكيلو" بمغاغة من محافظة المنيا بالصعيد المصري وأصيب في الثالثة من عمره عام ١٨٩٥ من الميلاد، بالرمد الذي أطفئ نور عينيه إلى الأبد. وكان والده موظفاً في إحدى شركة السكر. وكان طه حسين الابن السابع بين ثلاثة عشر ولداً لأبيه والابن الخامس بين أحد عشر ولداً لأمه. التحق بكتاب قريته، وحفظ القرآن الكريم قبل العام التاسع من عمره في عام ١٨٩٨ من الميلاد وقرأ بعض الكتب استعداداً للالتحاق بالأزهر وذهب إلى الأزهر في عام ١٩٠٣ من الميلاد وبعد التحاقه بالأزهر، أخذ يحضر الدروس هناك. ثم ترك الأزهر والتحق بالجامعة المصرية الأهلية القديمة إثر إنشائها عام ١٩٠٨م ويقول عنها: "...وَعرف أنها مدرسة لا كالمدارس وأحس أن ميزتها الكبرى عنده أن الدروس التي ستلقى فيها لن تشبه دروس الأزهر من قريب أو بعيد، أن الطلاب سيختلفون إليها لن يكونوا من المعممين وحدهم بل سيكون فيهم المطربشون،

وعسى أن يكونوا أكثر عدداً من أصحاب العمائم...^(١).

وهو أول من قدم لها أول رسالة "للدكتوراه"^(٢) ونال شهادة "الدكتوراه" عام ١٩١٤م بكتاب ذكرى أبي العلاء، والجدير بالذكر أن هناك تشابه الأحداث التي مر بها أبو العلاء المعري مع الأحداث التي مر بها هو كما لقب بمعري القرن العشرين^(٣). وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون عام ١٩١٨م وحصل على شهادة "الدكتوراه" منها، وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة وتم تعيينه محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة ثم كان عميداً لتلك الكلية. وهذا ما ساهم في منحه لقب عميد الأدب العربي، ثم تم تعيينه مديراً لجامعة الإسكندرية وكان مؤسساً لها.

وانتدب بوزارة المعارف المصرية (التربية والتعليم حالياً) ثم أختير وزيراً لها ما بين ١٩٥٠-١٩٥٢م، وكان أشهر وزير تولى وزارة المعارف، وصاحب عدد من شهادات الدكتوراه الفخرية منحتها له جامعات أوروبا، والصديق الحميم لمستشركي زمانه وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ثم رئيساً لمجمع اللغة بمصر وشغل منصب رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية.

مؤلفاته:

اشتهر طه حسين بكتابة العديد من المؤلفات في الأدب والقصة ومن بينها

فيما يلي:

(١) حسين، طه، الأيام، لكتاؤ: مكتبة إحسان أيار (مايو) ٢٠١٠م، الجزء الثالث، ص: ٤.

(٢) رزق، جابر، طه حسين: الجريمة والإدانة، القاهرة: دار الاعتصام، ص: ٧.

(٣) الكيايبي، سامي، مع طه حسين، القاهرة: دار المعارف، أيار (مايو) ١٩٥٢م، ص: ٧.

- في الشعر الجاهلي
- في الأدب الجاهلي: وقال عنه: "هذا كتاب السنة الماضية، حذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت إليه فصول وغير عنوانه بعض التغيير^(١).
- حديث الأربعاء (ثلاثة مجلدات)
- قادة الفكر
- على هامش السيرة (ثلاثة أجزاء)
- مع أبي العلاء في سجنه
- مع المتنبّي
- أحاديث
- الأيام (ثلاثة أجزاء)
- وترجم بعض آثار الأدب اليوناني ككتاب نظام الأثينيين لأرسطو
- وآلهة اليونان
- صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان
- فلسفة ابن خلدون: رسالة "الدكتوراه" بالفرنسية إلى السوربون ترجمها إلى العربية محمد عبد الله عنان
- دروس التاريخ القديم

(١) حسين، طه، في الأدب الجاهلي، القاهرة: دار المعارف، ط/١٥، ١٩٢٧م، ص: ٤.

• مستقبل الصحافة في مصر

• عثمان

• علي وبنوه

• رحلة الربيع والصيف

الجوائز:

ظفر طه حسين بقلادة النيل عام ١٩٦٥م، وأعلنت الأمم المتحدة عن منحه جائزتها التكريمية في العاشر من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣م في مجال حقوق الإنسان، بالإضافة إلى حصوله على عدة جوائز أخرى.

وفاته:

توفي طه حسين يوم الأحد ٢٨ / تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣م عن عمر ناهز ٨٤ عاماً.

السيرة لغة مصطلحاً:

السيرة: السنة، السيرة: الطريقة، السيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، السيرة: السيرة النبوية، وكتب السيرة: مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك يقال: قرأت سيرة فلان: تاريخ حياته والجمع: سير وذلك طبقاً لمعجم الوسيط.

وللسيرة قسمان: السيرة أو السيرة الغيرية، وهي قصة حياة شخص يكتبها شخص غيره، والسيرة الذاتية: وهي قصة حياة شخص يكتبها بنفسه عن نفسه ويسجل أخباره ويذكر أيام حياته وما يتأثر من بيئة وأساتذة وأصدقاء وما ينطبع

في نفسه من إيمان وعقيدة ومبادئ حيوية كما يعرف قاموس أوكسفورد السيرة الذاتية "بأنها كتابة شخص لتاريخه وقصة حياته بقلمه".

ويقول يحيى شامي:

"أدب السيرة نوع من أنواع الأدب وفرع من فروع النثر الأدبي – بل هو نمط من أنماط الأدب القصصي يتوفر فيه الكاتب على سرد قصة شخص ما فإن تحدثت عن ذاته وما مر معه من حوادث فأدبه أدب السيرة الذاتية – وإن تحدثت عن غيره فهو أدب السيرة الموضوعية وفي حالين فلا بد في أدب السيرة"^(١).

نظرة عابرة على السيرة الذاتية في العربية:

ويحسن بنا أن نبين الفرق بين السيرة الذاتية والتاريخ قبل نظرة عابرة على السيرة الذاتية كما تختلف السيرة الذاتية عن التاريخ في عدة أمور منها: أن السيرة الذاتية تعتمد على ذكره فقط وقد تسقط بعض الأشياء عند التأليف وتفضل عن بعضها الآخر وأما التاريخ فهو يعتمد على الوثائق العلمية والشهادات الموثوقة بينما تعد المذكرات والذكريات، واليوميات، والاعترافات، والرسائل من السيرة الذاتية.

وجدت كتابة السيرة الذاتية في معظم أشكالها في الأدب العربي منذ العصور القديمة ولم تطلع عليها الشعوب الأخرى إلا بعد طلوع فجر الإسلام، وبدأ شوطها في الأدب العربي منذ العصر القديم كما كان عرب الجاهلية يفتخرون بذكر مآثر أسلافهم وأيامهم وأنسابهم ولكنها ظهرت بشكل الكتابة والتدوين في

(١) شامي، يحيى، طه حسين: أديباً ناقداً، بيروت: دار الفكر العربي، ص: ٣٤.

القرن الأول من الهجرة ونقل المؤرخ الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" السيرة الذاتية لسلمان الفارسي (٣٦هـ / ٦٥٦م)، وفي الأدب العربي أيضاً ما يماثل نماذج الترجمة الذاتية، فقد كتب الكتاب سيرهم الذاتية ولكن معظمها بطريقة موجزة وترجم الفيلسوف حنين بن إسحاق (المتوفى ٢٦٠هـ / ٨٧٣م) فصولاً من مؤلفات جالينوس وسيرته وتأثر به. ومن المذكرات مذكرات الأمير العربي أسامة بن مرشد (المتوفى ٥٨٤هـ) عن طريق كتابه "الاعتبار" ومذكرات الفضل بن مروان المتوفى أواسط القرن الثالث الهجري، وكتب أحمد بن طبيب السرخسي "أخبار سير المعتضد بالله من مدينة السلام إلى واقعة الطواحين بفلسطين ثم انصرافه عنها" وكتب أبو الحسن أحمد بن جعفر (المتوفى ٣٢٤هـ) ما شاهده من أمر المعتمد على الله.

ومن التراجم الذاتية ما ترجم الشاعر عمارة اليميني لنفسه. وترجم الإمام أبو حامد الغزالي (المتوفى ٥٠٥هـ) السيرة شيئاً عن نفسه في كتابه "مشارب التجارب" وكتب ابن الجوزي (المتوفى ٥٩٨هـ) رسالة "لفتة الكبد في نصيحة الولد" وذكر فيها عن نفسه، وألف ابن عربي محي الدين أبو بكر (المتوفى ٦٣٨هـ) رسالة "مناصحة النفس" يكتب فيها عن نفسه، وكتب العماد الأصبهاني (المتوفى ٥٩٧هـ) سلسلة من المذكرات في مجلدات عديدة، وهي لكتابته "البرق الشامي" وغيرها، وكتب ما شهدته من الأحداث، وكتب القاضي الفاضل (المتوفى ٥٦٦هـ) اليوميات التي تسمى بالمتجددات، وقد ترجم لنفسه ابن حزم الأندلسي (المتوفى ٤٥٦هـ) في كتابه الشهير "طوق الحمامة في الألف والآلاف"، وكتب لسان الدين الخطيب (المتوفى ٧٧٦هـ) في كتابيه "الإحاطة في تاريخ غرناطة" و"نفاضة

الجراب" عن نفسه ووصف المقرئ المؤرخ الأندلسي (المتوفى ١٠٤١هـ) رحلته من الأندلس في الجزء الأول من كتابه "نصح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، وذكر ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) رحلاته ومراسلاته في كتابه "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً".

أما السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث فنجد ترجمة علي باشا مبارك (المتوفى ١٨٩٣م) لنفسه حوالي ستين صفحة في كتابه "الخطط التوقيفية" والسيرة التي كتبها محمد عمر التونسي في كتابه "تشهيد الأذهان بسرية بلاد العرب والسيودان" والسيرة التي كتبها عبد الله النديم (المتوفى ١٨٩٤م) لنفسه في كتابه "كان ويكون" والسيرة التي كتبها الأستاذ عبد الرحمن شكري فتحدث عن خوفه من المجتمع وكتب محمد كرد علي (المتوفى ١٩٥٣م) لنفسه ترجمة في بضع عشرة صفحة في آخر كتابه "خطط الشام".

أما المذكرات في النصف الأول من القرن العشرين فهي مذكرات أحمد لطفي السيد باشا (المتوفى ١٩٦٣م) وبالإضافة إلى ذلك قد كتب كثير من الأدباء فصولاً من التراجم الذاتية ضمنها بعض كتبه ومنها "الساق على الساق فيما هو الفاريان" لفارس أحمد الشدياق (المتوفى ١٨٨٨م) والتي تعد أقدم هذه التراجم الذاتية، وكتب جمال الدين حياته التي نشرتها مجلة "الجامعة" وكتب أحمد شوقي (المتوفى ١٩٣٢م) سيرة حياته في مقدمة ديوانه الأول، هكذا ترجم الزهاوي لنفسه في فصول ورسائل حتى ظهرت السيرة الذاتية لطله حسين: "الأيام" عام ١٩٢٩م.

الأيام:

يتكون هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء فتم إصدار الجزء الأول كتاباً سنة

١٩٢٩م، والثاني سنة ١٩٣٩م والثالث سنة ١٩٧٢م قبيل وفاته وعرض الدكتور طه حسين فيه حياته، بالريف المصري ثم في القاهرة بالأزهر ثم في باريس، بالجامعة والألم، والفرح والتجربة الذاتية والاجتماعية.

أما الجزء الأول فيتحدث فيه طه حسين عن طفولته والريف المصري، وفي الجزء الثاني يتحدث عن المرحلة التي امتدت بين التحاقه بالأزهر وتمرد على مناهج الأزهر وشيوخه ونقده الدائم لهم وحتى التحاقه بالجامعة الأهلية، وفي الجزء الثالث يتحدث عن الدراسة في الجامعة الأهلية ثم سفره إلى فرنسا وحصوله على شهادات الليسانس والدكتوراه ودبلوم الدراسات العليا ثم عودته إلى مصر كأستاذ في الجامعة، ففي الجزء الأول لهذا الكتاب يتذكر طه حسين بيئته التي ولد وترعرع فيها فيحدثنا عن القصب الذي كان يقوم أمامه والقناة التي كانت وراء القصب حيناً إلى ذكرى طفولته.

"إذا كان قد بقي له من هذا الوقت ذكرى واضحة بينة لا سبيل إلى الشك فيها، فإنما هي ذكرى هذا السياج الذي كان يقوم أمامه من القصب، والذي لم يكن بينه وبين باب الدار إلا خطوات قصار، هو يذكر هذا السياج كأنه رآه أمس يذكر أن قصب هذا السياج كان أطول من قامته، فكان من العسير عليه أن يتخطاه إلى ما وراءه، ويذكر أن قصب هذا السياج كان مقترباً كأنما كان متلاصقاً، فلم يكن يستطيع أن ينسلّ في ثناياه، ويذكر أن قصب هذا السياج كان يمتد من شماله إلى حيث لا يعلم له نهاية، وكان يمتد عن يمينه إلى آخر الدنيا من هذه الناحية وكان آخر الدنيا من هذه الناحية قريباً؛ فقد كانت تنتهي إلى قناة عرفها حين تقدمت به السنين، وكان لها في حياته - أو كل في خياله - تأثير

عظيم" (١).

كما يتحدثنا في هذا الجزء عن إخوته الأربعة عشر وأمه وأبيه وعن نفسه كيف حُرِّمَ عليها كثير من ألوان الطعام والشراب واللعب بسبب فقد بصره ويحدثنا عن حسن استماعه إلى مجلس القصاص ووعظ الوعاظ الذين كانوا يجتمعون في بيت أبيه بعد صلاة العصر وصلاة العشاء ويحدثنا عن الكتاب الذي تعلم فيه القرآن والحفلة التي أقامها أبوه بمناسبة ختم القرآن الكريم وغير ذلك وبالجملة أن الجزء الأول يشتمل عشرين فصلاً يحدثنا طه حسين عن جوانب حياته المختلفة قبل زواجه إلى الأزهر والقاهرة لكي يبدأ حياة جديدة هناك أما الجزء الثاني لهذا الكتاب فيحتوي أيضاً عشرين فصلاً ويشمل فترة ما بين ١٩٠٣-١٩٠٨م، تقريباً وتم إصداره عام ١٩٣٩م، وهذا الجزء هو عبارة عن الحديث عن سيرة حياته في الأزهر والقاهرة فعرض علينا شيئاً من خواطره وتلقيه العلم الديني والنحو والصرف والمنطق والفقه وشيئاً من الأدب ويصف فيه بالتفصيل حياته وتجربته في التعلم بحملات قاسية ويحدثنا الكاتب عن التعليم في الأزهر وخبيرة أملة فيه كما يحدثنا عن المشايخ حول دروس النحو ثم بدأ يميل إلى دروس الشيخ محمد عبده التي كان يسمعها من أخيه ومال إلى دروس الأدب التي كان يلقيها الشيخ السيد المرصفي ويقول:

"اشتد ضيق الفتى بالأزهر وأهله وبحياته في القاهرة، غارقاً فيما لا يحب مقصي عما تشهيه نفسه ويتحرق إليه قلبه" (٢).

(١) حسين، طه، الأيام، لكتاؤ: مكتبة إحسان، أيار (مايو) ٢٠١٠م، الجزء الأول، ص: ٤.

(٢) حسين، طه، الأيام، لكتاؤ: بمكتبة إحسان، أيار (مايو) ٢٠١٠م، الجزء الثاني، ص: ١٧٤.

هذا ومع ذلك قال أنور الجندي واصفاً إياه والقسوة اللاذعة في كتابه
"الأيام" لشان الأزهر والعلماء الكبار في هذه الجامعة:

"أما موقف الدكتور طه من الأزهر فقد كان شراً كله: فقد أراد أن ينتقم
من موقف العلماء من كتابه "في الشعر الجاهلي" فحمل على الأزهر حملة قاسية
وظالمة، حمل عليه مرتين مرة لموقفه منه حين أسقطه في امتحان العالمية، ومرة
أخرى نتيجة موقفه من كتاب الشعر الجاهلي"^(١).

وأما الجزء الثالث الذي يحتوي أيضاً ٢٠ فصلاً وتم إصداره عام ١٩٧٢م
قبيل وفاته فيستمر في وصف صاحبه في الفترة من سنة ١٩١٠م إلى سنة ١٩٢٢م،
حيث تجاوز ثلاثين من عمره، فيتحدثنا الكاتب عن الأزهر وعن سقوطه في
امتحان العالمية وما حدث فيما بعد، والتحاقه بالجامعة المصرية ويتذكر فضل
لطف السيد عبد العزيز جاويش وقال عنهما:

".... أن لطف السيد لم يرض قط عن هذه الفصول ولو قد رضي عنها وعن
بعضها، لتحدث إليه فيها، وهو الذي كان كثيراً ما يشجع الفتى فيتنبأ له مرة بأنه
سيكون موضعه من مصر من موضع فولتير من فرنسا ويقول له مرة أخرى، أنت
أبو العلائنا، يتعمد إثبات الألف واللام على رغم الإضافة في اسم أبي العلاء،
يضحك ويفرق في الضحك حين يرى تنكّر الفتى للجمع بين الإضافة وأداة
التعريف.

وأصبح الفتى كاتباً بفضل هذين الرجلين: لطف السيد وعبد العزيز

(١) الجندي، أنور، محاكمة فكر طه حسين، القاهرة: دار الاعتصام، ص: ٢٤٦.

جاويش" (١).

ويتحدثنا في هذا الجزء عن استعداده للسفر إلى فرنسا وعن قصة حب بينه وبين "سوزان" الفرنسية التي تزوجها فيما بعد ١٩١٧م، وعن حصوله على شهادة "الدكتوراه" وعن عودته إلى مصر ليعمل كأستاذ بالجامعة.

أسلوبه:

كان طه حسين أديباً ذا أسلوب كتابي يمتاز بالسلاسة والطلاوة والجزالة والدقة والسهولة والحلاوة فطريقته في الأسلوب هي طريقة التصوير المتتابع كما استخدم عدة وسائل في رسم الصور وتقديمها كالطريقة التكرارية التي تمنع عبارته التتابع، ولقد تأثر بالجاحظ في أسلوبه الذي كان يميل إلى الوضوح والترادف والتكرار.

هذا ومع ذلك أن التباعد بالنسبة لنشر أجزاء الكتاب لم يجعل الكتاب ذا طابع واحد في طريقة التعبير فإذا كان الجزء الأول والثاني يغلب فيهما أسلوب القصة والسرد والوصف، والجزء الثالث يميل إلى أسلوب التقرير والمقال الصحفي وتحدثنا الدكتور بصيغة الغائب فيشير إلى نفسه على أنه "صبينا"، أو "الصبي"، أو "الغلام"، أو "الفتى"، أو "صاحبنا" كما استخدم أيضاً بعض الألفاظ العامية في هذا الكتاب.

الخاتمة:

يعد الدكتور طه حسين رائد السيرة الذاتية، وهذا الكتاب يعد أشهر سيرة

(١) حسين، طه، الأيام، مكتبة إحسان، لконаؤ: أيار (مايو) ج/٣، ص: ٢٢.

ذاتية في الأدب المعاصر ودفع كثيراً من الأدباء لتسجيل حياتهم ونقل تجربتهم إلى الآخرين كما لفت هذه أنظار المستشرقين وإياهم إلى نقلها إلى لغاتهم من العربية هكذا تم تلخيص هذا الكتاب في العربية أيضاً.

المصادر والمراجع:

١. الزكلي، خير الدين، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، أيار (مايو) ٢٠٠٢م
المجلد: ٣.
٢. الكيلاني، سامي، مع طه حسين، القاهرة: دار المعارف، أيار (مايو) ١٩٥٢م.
٣. رزق جابر، طه حسين، الجريمة والإدانة، القاهرة: دار الاعتصام.
٤. حسين، طه، الأيام، لконаؤ: مكتبة إحسان، أيار (مايو) ٢٠١٠م، الجزء الأول.
٥. حسين، طه، الأيام، لконаؤ: مكتبة إحسان، أيار (مايو) ٢٠١٠م، الجزء الثاني.
٦. حسين، طه، الأيام، لконаؤ: مكتبة إحسان، أيار (مايو) ٢٠١٠م، الجزء الثالث.
٧. شامي، يحيى، طه حسين: أديباً ناقداً، بيروت: دار الفكر العربي.
٨. الجندي، أنور، محاكمة فكر طه حسين، القاهرة: دار الاعتصام.